



تمارين مقترحة حول استخدام الزخارف الموسيقية (ornaments) لتقوية الأداء الموسيقي والخيال الإبداعي عند طلاب آلة العود للمستوى المبتدئ

د. نهيل سلوم^١ (سوريا)

مقدمة

تعتبر الزخارف الموسيقية أو الحليات عنصراً هاماً من عناصر الموسيقى العربية، وما يميزها عن باقي الموسيقىات الأخرى استخدامها لأنواع معينة من الزخارف التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأداء الموسيقي الشرقي. وترتبط أيضاً الزخارف الموسيقية بالارتجال الموسيقي، وهو المجال الذي يُتاح فيه للمؤدّي أن ينطلق بمهاراته وتفننه وخياله، معبراً عن فهمه العميق لفلسفة الموسيقى العربية وجمالياتها.

يرى البعض أن هناك ضرورة سيكولوجية psychological لوجود الزخارف، ففي الإنسان شعور معين يسمّى الخوف من الفراغ (Horror Vocui)، وهذا المصطلح يدل على عجز الإنسان عن قبول المكان الخالي أو الفراغ، ومن أجل ذلك يحاول الإنسان شغل المكان بخطوط وعلامات وأشكال هندسية، قد تصل إلى مستوى الحلية الزخرفية. (فراج، ٢٠٠٧، ص ٣١)، ومن ناحية أخرى يرى الكثير من النقاد أنّ استخدام الزخرفة المبالغ بها يسيء إلى الطابع العام، ويكون عبارة عن استعراض.

مما لا شك فيه أنّ الغرب كان سباقاً في وضع المناهج التعليمية واعتمادها في تدريس الآلات المختلفة ومن ضمنها تدريس تقنية عزف الزخارف الموسيقية ornaments، مما ساهم في تسهيل نقل مجموعة الخبرات بطريقة علمية إلى الطلاب، الأمر الذي انعكس إيجاباً على تطور وتقديم أسلوب العزف لديهم.

منذ بداية القرن العشرين صدر العديد من المناهج التعليمية التي تُعنى بتدريس آلة العود في الوطن العربي، احتوى معظمها على التصنيف الغربي المتبع في تدريس الزخارف الموسيقية، ومن خلال الاطلاع على

^١ مدرس سابق في جامعة البعث - كلية التربية الموسيقية بسوريا، حاصل على إجازة في التربية الموسيقية ودبلوم بآلة العود، وماجستير في العلوم الموسيقية، دكتوراه في العلوم الموسيقية، مغني ومدرّب للغناء، خضع للعديد من ورشات العمل الدولية والعربية بخصوص تقنيات الصوت والغناء العربي وآلة العود. شارك بالعديد من المؤتمرات العلمية والدولية، ولديه العديد من الأبحاث المطبوعة والمنشورة في مجلات وكتب علمية ومواقع الكترونية. عضو في جمعية زمار لدراسة الموسيقى السريانية والتي مقرها الولايات المتحدة الأمريكية.



العديد من تلك المناهج لم نجد أنها تحتوي في المستويات الأولى المبتدئة على أساسيات وقواعد لتدريس تلك الزخارف الموسيقية، مع التنويه إلى أن بعضاً من تلك المناهج التي تتناول أساليب أداء الزخارف الموسيقية تكون موجّهة إلى المستويات المتوسطة والمتقدمة دون المبتدئة، وتفتقر لوجود أشكال موسيقية تميّز الزخارف في الموسيقى العربية لآلة العود تتناسب والمستوى التقني لكل طالب.

يهدف هذا البحث إلى تقديم بعض الأفكار والتمارين التي تساعد الطالب المبتدئ على التمرس في عزف الأشكال الأساسية للزخارف الموسيقية بالتدرج من البطيء إلى السريع، من أجل الحصول على نظافة كاملة في العزف وخاصة عند العزف الجماعي، حيث يصبح من الضروري تدوين تلك الزخارف، بالإضافة إلى التعرف على بعض الأشكال الموسيقية التي تعبر عن أسلوب أداء بعض الزخارف اللحنية في الموسيقى العربية على آلة العود، كما وتساعد على تنمية روح التجديد في أساليب ارتجال الزخارف الموسيقية بعيداً عن التقليد.

ومن خلال تحقيق الهدف السابق يتعرّف الطالب على أنواع الزخارف الموسيقية والتي قمنا بتبسيطها، بالإضافة إلى النوع الثاني من الزخارف الذي يميّز أداء آلة العود، والتي تم وضعها خصيصاً لهذا البحث، مما يُثري العملية التعليمية لطلاب آلة العود ويعزز التقنية والخيال الإبداعي لديهم، الأمر الذي يقود فيما بعد لإتقان فن الارتجال.

أولاً: الزخارف الموسيقية في الموسيقى العربية:

إنّ أداء الزخارف في الموسيقى العربية كان شائع الاستعمال منذ القدم، حيث يخبرنا كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني بأنه لا عبرة بعدد الآلات لأنهم يعزفون كواحد. (الأصفهاني، ١٩٠٥، ص ١٢٥). مع استثناء وجود الزائدة Gloss، وهو الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة، وهذه الزائدة زخرفة لهيكلية للحن، ما يعرف في الموسيقى الغربية باسم Trill, Shake, Appoggiaturas، وربما تضمنت أحياناً نغمة أخرى تضرب في نفس الوقت (Farmer, 1929, P.72)، وقد أطلق عليه ابن سينا فن (الزواق)، وأطلق عليه الفارابي (الزوائد اللحنية). (الخولي، ١٩٧٥، ص ١٩).

إنّ انتقال الموسيقى العربية بالتواتر الشفهي كان عنصراً مساهماً في تطوير القدرات الارتجالية للمؤدّي أو العازف، فقد كان على المؤدّي أن يتولّى مهمّة تزيين اللحن وتنميته بما يضيفه إليه من زخارف تضيفي على كل أداء روحاً متجددة، وهذا ما يفسر لنا تميّز أداء الزخارف في الموسيقى العربية عندما تؤدّى مقطوعة موسيقية مرتين كل مرة يكون أداؤها بطريقة مختلفة. إنّ هذا الدور الخلاق الذي يلعبه المؤدّي



الشرقي عازفاً أو مغنياً، هو الذي أنتج فناً في الارتجال بكل أنواعه وأعطى مفهوم المؤدي المبتكر creative performer. (الخولي، ١٩٧٥، ص ١٨).

أي أن الابتكار الزخرفي من أهم صفات المؤدي العربي عازفاً كان أم مغنياً في كل عصوره وخاصةً في أداء الموسيقى المتوارثة بالسماع، إنها بالنسبة له ليست إضافة أو عنصراً لا لزوم له، بل إنها من ضمن المادة نفسها.

وللخارف في الموسيقى العربية مستويات متعددة تتدرج من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المعقد، مثلما تتحد الحروف لتشكل المقاطع اللفظية، وتتحد المقاطع اللفظية لتشكل الكلمات، والكلمات بدورها لتشكل العبارات والجمل والفقرات. (Al faruqi, 1978, p.18-20)

كما ومرت الزخارف بالعديد من التغيرات وتبدلت تبعاً لتغيير الأماكن والبلدان، حيث إن لكل بلد أنماط موسيقية مختلفة، وقد تأثرت هذه الزخارف بانتقال الموسيقى العربية عبر السماع والتواتر الشفهي، فنجد أنواعاً كثيرة من الزخارف تأتي نتيجة السماع والحفظ والتلقين، وهناك الكثير من العازفين والمغنيين المبدعين كانوا ينقلون ما سمعوه معتمدين على ذاكرتهم الموسيقية فاخترنوا أنواع عديدة من الزخارف وأساليب أدائها تبعاً للبيئة التي نشأوا فيها.

إن أداء الزخارف الموسيقية يخضع لاجتهاد المؤدي ومستواه التقني ملازمة للأداء الموسيقي عزفاً وغناءً ولا تتفصل عنه، (قريعة، ٢٠٠٧، ص ٦٥)، وتمثل الاندماج التام بين الحرية الفردية والعُرف الموسيقي، وبين الابتكار التلقائي والارتباط بالقالب. (حداد، ٢٠١٥، ص ٢١١٥).



ثانياً: الجزء التطبيقي

١-٢ الأشكال العامة للزخارف والحليات: (الحاج، ترجمة بارود، ٢٠٠٢، ص ٨١-٨٦)، (شعبان، ١٩٦٨، ص ١٥٣-١٦٠).

أ - الناقلة الصغرى The acciaccatura:

شكل الكتابة	أسلوب الأداء
النوع الأول: الناقلة الصغرى الموصولة بالعلامة الموسيقية التي تليها وتتفّذ على الزمن نفسه	
النوع الثاني: الناقلة الصغرى الموصولة بالعلامة الموسيقية التي تسبقها وتتفّذ قبل الزمن مباشرة	

ب - الناقلة المضاعفة The double appoggiatura:

شكل الكتابة	أسلوب الأداء
-------------	--------------



النوع الأول: الناقل المضاغفة الموصولة بالعلامة الموسيقية التي تليها وتنقذ على الزمن نفسه	
النوع الثاني: الناقل المضاغفة الموصولة بالعلامة الموسيقية التي تسبقها وتنقذ قبل الزمن مباشرة	

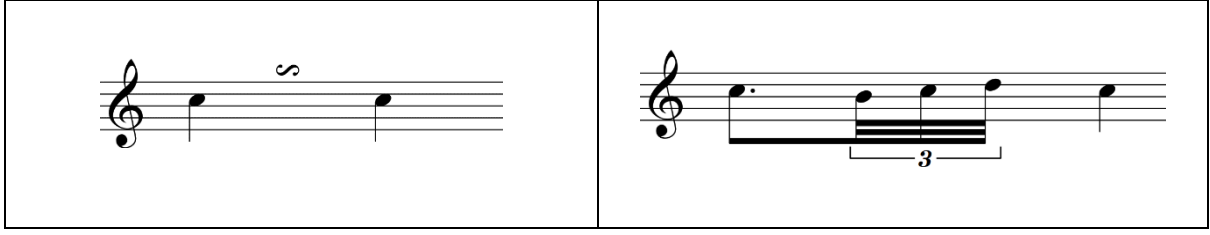
ج - القارضة The mordant :

شكل الكتابة	أسلوب الأداء
النوع الأول القارضة العليا The upper mordant	
النوع الثاني القارضة السفلى The lower mordant	



د - الزمرة The gruppette:

شكل الكتابة	أسلوب الأداء
النوع الأول الزمرة العليا The upper gruppette	
النوع الثاني الزمرة السفلى The lower gruppette	
النوع الثالث الزمرة العليا بين علامتين موسيقيتين، تنفّذ قبل الزمن	
النوع الرابع الزمرة السفلى بين علامتين موسيقيتين، تنفّذ قبل الزمن	



هـ - الزغردة The trill:

شكل الكتابة	أسلوب الأداء
النوع الأول الزغردة بدون علامات تحويل	
النوع الثاني الزغردة مع علامات تحويل	

٢-٢ التمارين المقترحة لعزف الزخارف الموسيقية ornaments:

التمرين الأساسي



إرشادات عامة قبل تنفيذ التمارين المقترحة:

- اعتماد إيقاع تصاعدي ليساعد الطالب على تركيز الجمل الإيقاعية واللحنية، كي يظل العزف واضحاً وبدون أخطاء.
- استعمال المترونوم metronome



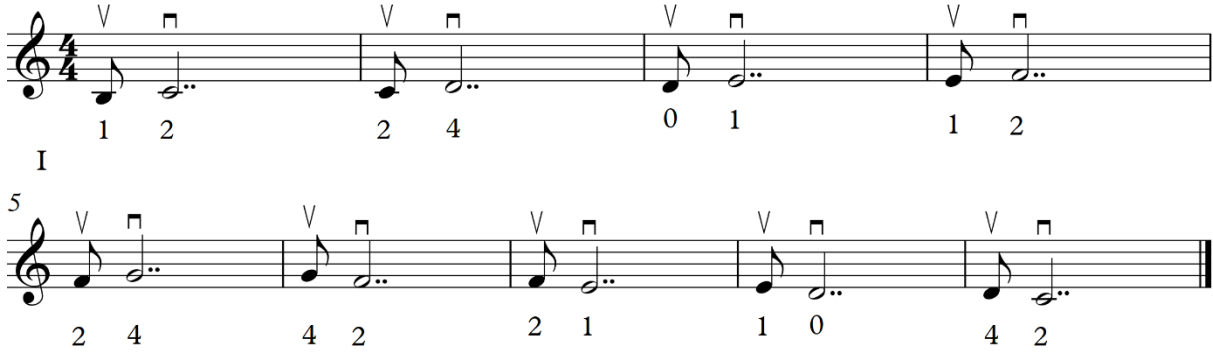
- إبقاء اليد اليسرى في الوضع الدائري والمحافظة على عدم تشنج اليد.
- إبقاء أصابع اليد اليسرى قريبة من الزند.
- الضغط على أصابع اليد اليسرى بشكل جيد على الزند.
- تثبيت الريشة بشكل جيد بين الإبهام والسبابة للحصول على صوت واضح، حيث إنّ حركة الريشة تكون من خلال تحريك المعصم فقط.
- إبقاء اليد اليمنى قريبة من الأوتار.
- عند مشاهدة ريشة هابطة وصاعدة على ذات النغمة هذا يدل أننا نستطيع عزف تلك النغمة بإحدى الريشتين الصاعدة أو الهابطة.
- + يدل هذا الشكل على عزف النغمة بإحدى أصابع اليد اليسرى.

أ - التمارين المقترحة لعزف الناقلة الصغرى:

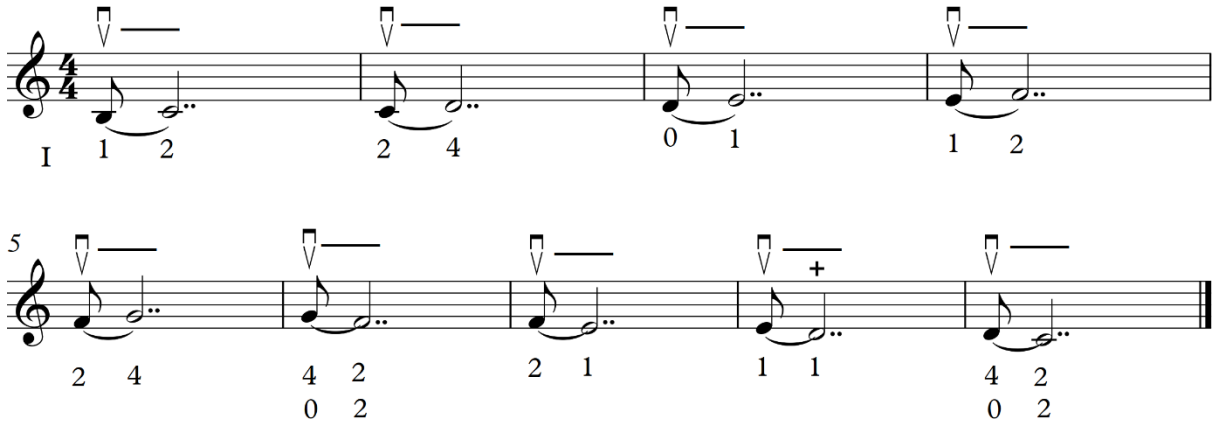
نستطيع عزف الناقلة الصغرى بالشكلين الصاعد والهابط حسب العلامة الموسيقية المراد عزفها.

التمرين الرقم (١)

الشكل الأول



مثال على عزف التمرين السابق بأسلوب البصم، ويمكننا تنفيذ الشكل الثاني والثالث بنفس الطريقة.



الشكل الثاني



الشكل الثالث



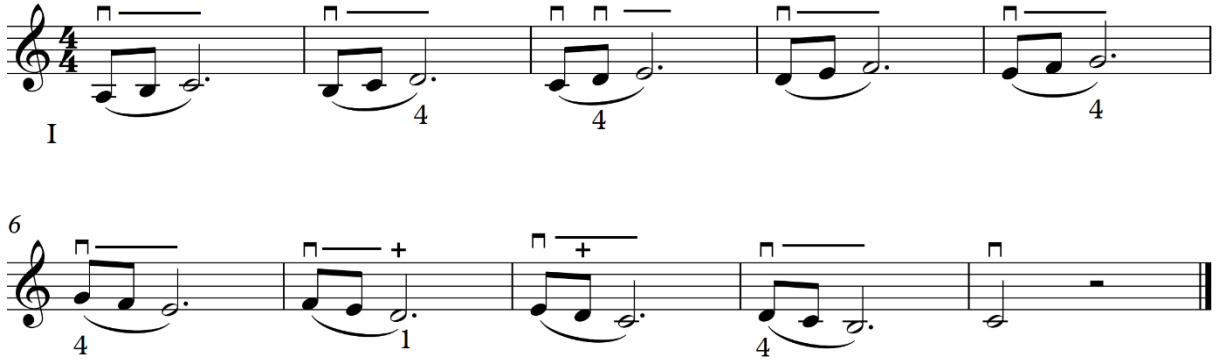
ب - التمارين المقترحة لعزف الناقل المضاغفة:

التمرين الرقم (٢)

الشكل الأول



يمكننا تنفيذ التمرين بأسلوب البصم كما في التمرين السابق



الشكل الثاني



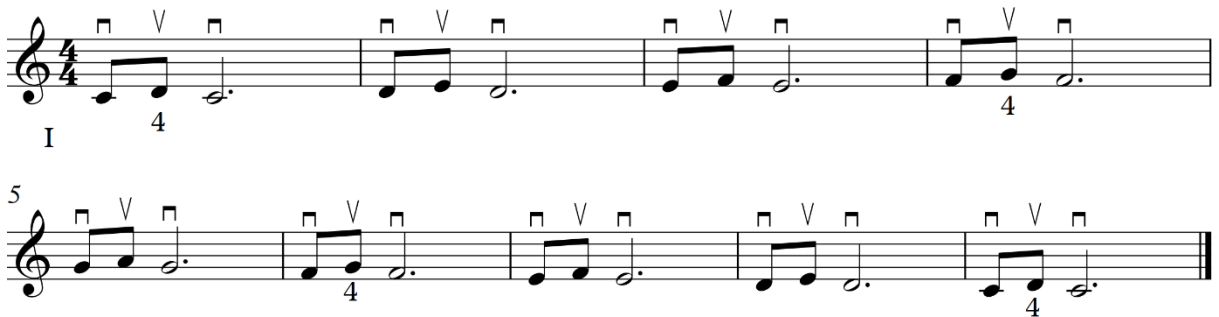
الشكل الثالث



ج - تمارين مقترحة لعزف القارضة:

التمرين الرقم (٣)

الشكل الأول



يمكننا تنفيذ التمرين بأسلوب البصم كما في التمرين السابق



الشكل الثاني



الشكل الثالث

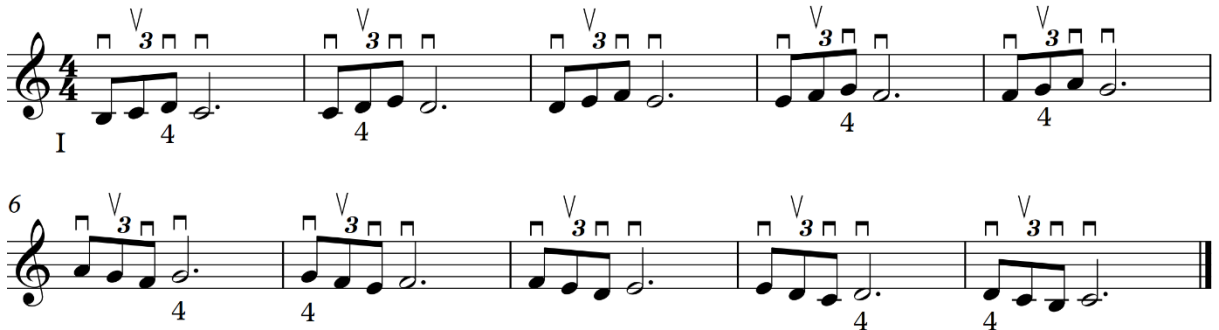


د - تمارين مقترحة لعزف الزمرة:

التمرين الرقم (٤)

يمكننا تنفيذ التمرين بأسلوب البصم كما في التمارين السابقة

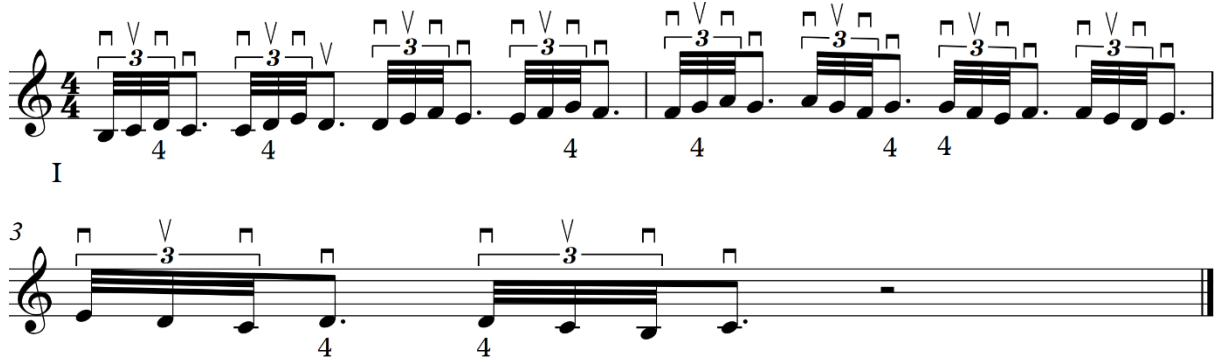
الشكل الأول



الشكل الثاني



الشكل الثالث



هـ - تمارين مقترحة لعزف الزغردة

التمرين الرقم (٥)

الشكل الأول



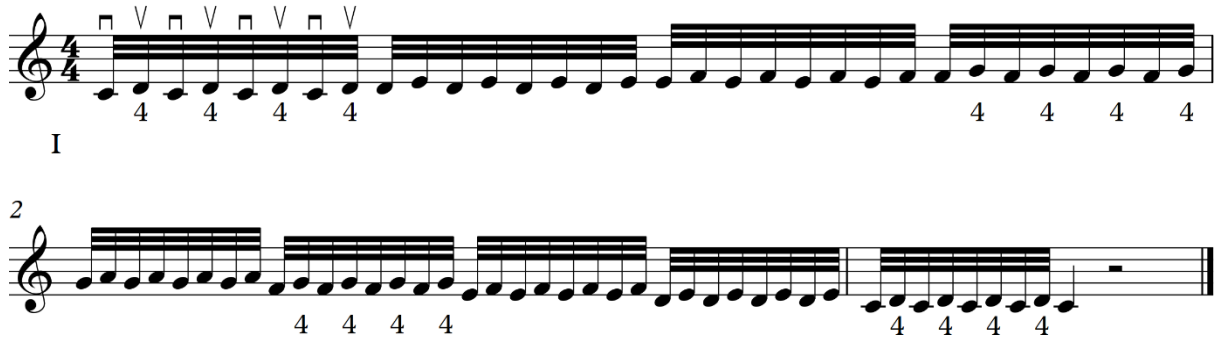
يمكننا تنفيذ التمرين السابق بأسلوب البصم كما في الشكل التالي



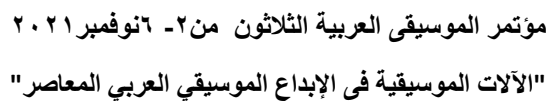
الشكل الثاني



الشكل الثالث



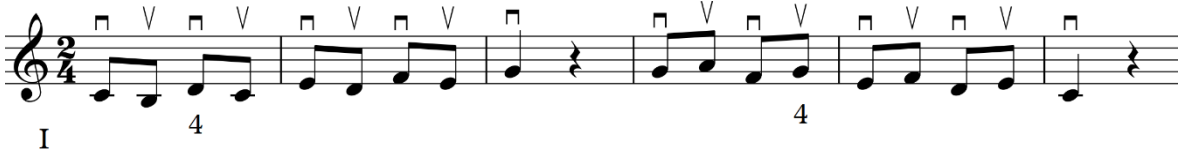
التمرين الرقم (٦)



The first staff of music is in 2/4 time and begins with a treble clef. It contains a sequence of eighth and sixteenth notes. Above the staff, there are four triplet markings (a 'V' over a '3') over groups of three eighth notes. Below the staff, there are four '4' markings under groups of four sixteenth notes. The staff ends with a double bar line.



B أسلوب الأداء



C أسلوب الأداء



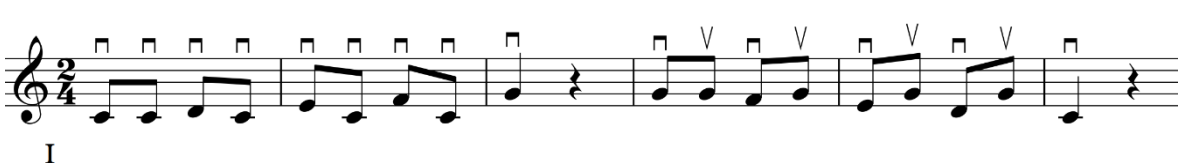
D أسلوب الأداء



E أسلوب الأداء



F أسلوب الأداء

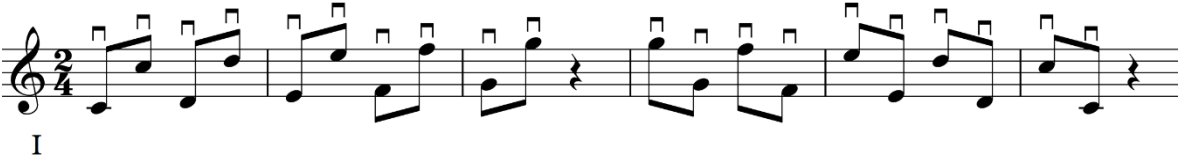




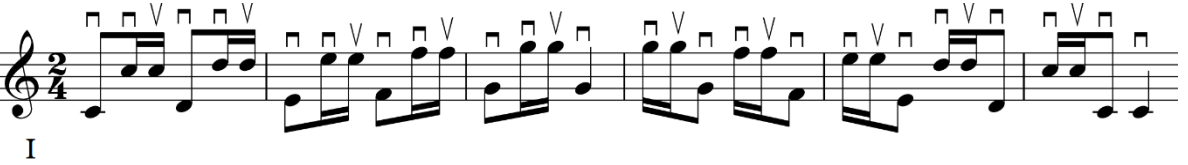
أسلوب الأداء G



أسلوب الأداء H



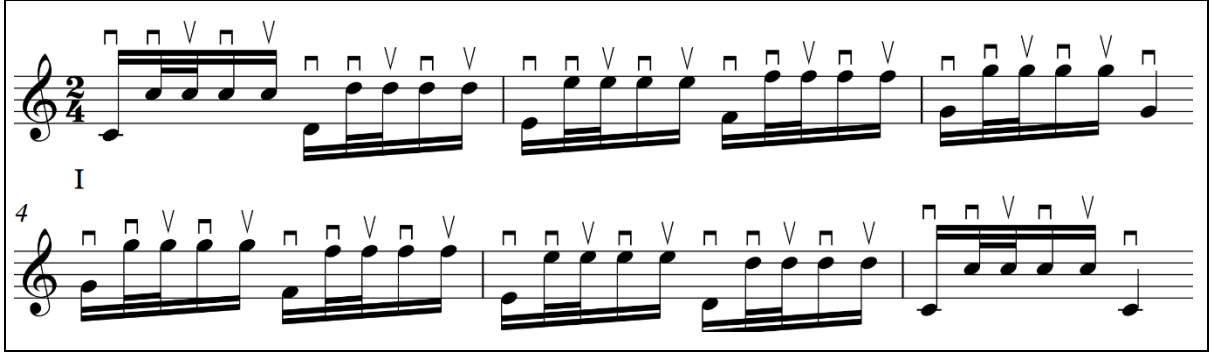
أسلوب الأداء I



أسلوب الأداء J



أسلوب الأداء K



نتائج الدراسة

١ - بعد عرض الأشكال العامة للزخارف الموسيقية المستعملة في الموسيقى الغربية والتي لم يلحظ استخدامها إلا في المستويات المتوسطة والمتقدمة في مناهج آلة العود، قمنا بوضع تمارين مبسطة كنماذج مرشدة لطلاب آلة العود في المستويات المبتدئة، مع الاستخدام الصحيح لآلة العود واستعمال الإيقاع البطيء والتدرج بالسرعة للوصول إلى اكتساب وضوح في العزف وإمكانية أداء العازف ضمن صف العزف الجماعي ذات الأداء الموحد.

٢ - بسبب التنوع اللامحدود للزخارف في الموسيقى العربية، وبسبب وجود فروقات في قدرات الطلاب واستعدادهم الموسيقي، قمنا بوضع إحدى عشر تمريناً كنماذج ملهمة للطلاب من أجل تحفيزه على الابتعاد عن أداء الزخارف التقليدية، وإعطائه مساحة للتفكير، وابتكار أشكال وزخارف جديدة تميز الزخارف في الموسيقى العربية لآلة العود والتي تقوده فيما بعد إلى الارتجال ولو في أبسط صوره.

المراجع باللغة العربية:

الأصبهاني، أبي الفرج. (١٩٠٥). كتاب الأغان، الجزء الأول، القاهرة: مطبعة المتقدم بشارع محمد علي.
الحاج، لويس. ترجمه، بارود، ريموند. (٢٠٠٢) نظريات الموسيقى الغربية، الكسليك: منشورات جامعة الروح القدس الكسليك، كلية الموسيقى.

الخولي، سمحة. (١٩٧٥). الارتجال وتقاليد في الموسيقى العربية، مجلة عالم الفكر ٦، ١٤، الكويت.



حداد، وائل. (٢٠١٦). تصوّر مقترح لزخرفة التسليم في قالب السماعي على آلة العود للمبتدئين، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد ٤٣، ملحق ٥، الأردن: عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية.

روحانا، شربل. (١٩٩٥). العود منهج حديث، الأجزاء: الرابع، الخامس، السادس، الكسليك: منشورات الكونسرفتوار الوطني العالي للموسيقى وكلية الموسيقى في جامعة الروح القدس.

روحانا، شربل. (٢٠١٧). مقام العود، الجزء الثاني، السنوات الخامسة والسادسة والسبعة والثامنة، لبنان: منشورات معهد القديسة رفقا للموسيقى.

شعبان، عبد الغني. (١٩٦٨). الموسوعة الموسيقية، قواعد علم الموسيقى، المجموعة ١، ٢، ٣، ٤، ٥، الخاتمة، بيروت: وكالة الأنباء اللبنانية.

علي أكبر، عسكر. ترجمة، حموش، محمد. (٢٠١١). مدرسة العزف على آلة العود، كتاب في طرق التدريس، دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة.

فراج، ياسمين. (٢٠٠٧). الزخرفة اللحنية في موسيقى محمد عبد الوهاب، دراسات في التراث الموسيقي، القاهرة: وزارة الثقافة.

قريعة، محمد. (٢٠٠٧). تدريس مادة المقامات والايقاعات، مجلة البحث الموسيقي، المجلد السادس، العدد الأول، عمان: المجمع العربي للموسيقى.

لجنة من أساتذة العود بالمعهد العالي للموسيقى. (٢٠١٣). برنامج دروس آلة العود المنهج الأساسي، تونس: جامعة تونس، المعهد العالي للموسيقى

المراجع باللغة الإنكليزية:

Al Faruqi, Lois Ibsen. (1978). Ornamentation in Arabian Improvisational Music: A Study of interrelatedness in the Arts, vol.20, no 1, VWB – Verlag für Wissenschaft und Bildung, pp 17–32.

Farmer, Henry George. (1929). A history of Arabian music to the XIIIth century, London: Luza&co, 46, Great Russell Street. P.72.